جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

العولمة والفساد من منظور إسلامي

د. كمال توفيق حطاب

٢٠٠٣م

العولمـــة والفســـاد
من منظور إسلامي

د. كمال توفيق حطاب

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة العولمة وحجم الفساد المرافق لها، من خلال المنظار الإسلامي، وفي ضوء الضوابط القيمية والأخلاقية والإنسانية . .

وللوصول إلى هذا الهدف حاولت الدراسة تجلية حقيقة هذه الظاهرة وأبعادها وأسسها الفلسفية والفكرية وأجهزتها وأدواتها وآثارها . .

وقد خلصت الدراسة إلى أن ظاهرة العولمة هي ظاهرة خطيرة تمثل حالة الهيمنة والتفوق الذي تتمتع به بعض المؤسسات والشركات الكبرى في الدول المتقدمة، وما ينجم عن ذلك من إمكانيات وأدوات تسمح باستخدام موارد وثروات العالم بما يزيد من تفوق وهيمنة الدول المتقدمة، الأمر الذي يزيد من حجم الظلم والفساد في الأرض.

إن الرؤية الإسلامية لهذه الظاهرة توضح وجود ظلم كبير لا بد من إزالته، من أجل مصلحة وخير البشرية جمعاء، ولا بد أن يتعاون كافة المنصفين والخيرين في هذا العالم ، من أجل تقليص سطوة العولمة وآثارها السلبية .

المقدمـــة

يقف على رأس أجهزة العولمة غالبا أشخاص يغلب عليهم الفساد والإفساد . . وهذه حقيقة يمكن إثباتها من ناحية نفسية وتاريخية وواقعية ...

فمن الناحية النفسية : فإن الكثير من الناس يزداد طغيانا كلما ازداد غنى ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ ﴾ (العلق) . وهي قضية نفسية فطرية ، خاصة إذا كان غير محكوم بمنهج الله ، وإن حدود الغنى التي بلغتها بعض قوى العولمة لا يمكن تصورها . .

ومن جهة أخرى فإن الإنسان كلما اشبع حاجة له ظهرت له حاجات جديدة ، وما لم تكن للإنسان قيم وضوابط ، فإنه بعد أن ينتهي من إشباع حاجاته المشروعة والمألوفة يبدأ بإشباع الحاجات غير المشروعة أو النزوات ، . . وهي رغبات دنيئة تحط من كرامة الآدمي . . فالذين رغبوا في المخدرات أو الشذوذ الجنسي كانوا ينطلقون من هذه المنطلقات . .

ومن الناحية التاريخية ومنذ الفراعنة نجد الدليل على طغيان الإنسان وتمرده . . فقد نسي فرعون موسى إنسانيته وظن أنه الرب الأعلى وادعى أنه يحيي ويميت وأخذ يقتل الذكور ويستبقي الإناث . . وظن أنه يملك كل شيء أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي . . ، وهكذا كان شأن كل المتجبرين والطغاة على مدار التاريخ . .

وأما في الواقع فإن الممارسات التي تقوم بها بعض قوى العولمة من شركات ومؤسسات ومن يقف على رأسها من رجال أعمال ورؤساء دول أحيانا . . قد زادت حدة المشكلات التي تعاني منها البشرية . . فازدادت مشكلات التصحر والمجاعات والتلوث والطاقة والأوزون والصيد الجائر

واستنزاف الموارد ومشكلات التضخم والبطالة وأسلحة الدمار الشامل والمفاعلات النووية وما ينجم عنها من نفايات سامة . . وتم إغراق العالم بطوفان من الفساد المادي والأخلاقي والمالي . . ولعل أبرز دليل على آثار الفساد المالي ما أحدثته بعض قوى العولمة في جنوب شرق آسيا .[1]

لقد فرضت ظاهرة العولمة نفسها بقوة مع بداية عصر الألفية الثالثة ، بحيث أصبحت الكرة الأرضية تخضع لقوانينها وسياساتها ، وفي هذا البحث نحاول تجلية حقيقتها وآلياتها وسياساتها ووثائقها وموقف الإسلام منها وسبل مواجهتها ، وذلك على النحو التالي :

١ . العولمة وأصولها الفكرية الفاسدة :

٢ . مواجهة العولمة وموقف الإسلام منها

١ . ١ تعريف العولمة

١ . ٢ الأصول الفكرية الفاسدة

تعريف العولمة

بالرغم من عدم اتفاق الباحثين حول تعريف واضح لمفهوم العولمة إلا أنني أحاول في هذا المطلب أن أضع مفهوما محددا للعولمة من خلال مراجعة العديد من المراجع المتعلقة بهذا الموضوع .

---

(١) في تموز ١٩٩٧ ضربت الأزمة الاقتصادية دول جنوب شرق آسيا ، فتدهورت عملاتها وأسواقها المالية وأفلست كثير من شركاتها ، وقد بدأت الأزمة بتايلند فكوريا الجنوبية فماليزيا ثم تايوان وسنغافورة ، وكانت الأزمة قاسية جدا في إندونيسيا والفلبين ، كما عانت من الأزمة كل من هونج كونج واليابان . انظر : سمير صارم : قراءة في أزمة دول النمور ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨ ، ص٣٣

فمن التعريفات المشهورة للعولمة :

« العولمة هي فرض العلمنة » فالغرب وبشكل خاص أمريكا تريد أن تفرض نظام الحياة عندها على العالم ، ونظام الحياة عندهم هو العلمانية[١] ، العولمة وفقا لجارودي » هي الوجه الآخر للهيمنة » أو » هي التسمية البديلة للهيمنة الشاملة على العالم » .

العولمة هي الاستعمار يقول ريتشارد هبوت في كتابه العولمة والأقلمة «العولمة هي ما اعتدنا أن نطلق عليه في العالم الثالث ولعدة قرون اسم الاستعمار » [٢] . ويعرف ووترز العولمة بأنها» : عملية اجتماعية يتم من خلالها تقليص القيود التي تفرضها الجغرافيا على الأنظمة الثقافية والاجتماعية ، كما يصبح الأفراد بدرجة متزايدة على وعي بتراجع هذه القيود » بينما يرى متلمان « أن إعادة تنظيم الفضاء الإنتاجي الذي بدأ منذ أعوام الستينات والتغيرات اللاحقة في التقسيم الدولي للعمل تعد المكونات المحورية المحركة للعولمة»[٣] . كما يعرفها آخرون بأنها : حدث كوني له بعده الوجودي ، إنها ظاهرة جديدة على مسرح التاريخ ، خلقت واقعا تغير معه العالم عما كان عليه بجغرافيته وحركته ، بنظامه وآليات اشتغاله ، بإمكاناته وآفاقه المحتملة ... »[٤] .

---

(١) محمد عمر الأشقر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، دار النفائس ، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص ١٥٨

(٢) نفس المصدر ، ص ١٦٠

(٣) حمدي عبد الرحمن : «أثر العولمة على التضامن والتكامل في الوطن العربي» ندوة انعكاسات العولمة السياسية والثقافية على الوطن العربي ، مركز دراسات الشرق الأوسط عمان ، ٢٠٠١ ، ص ٣١ .

(٤) صادق العظم : ما العولمة ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٠ ، ط٢ ، ص ٨٥-٨٦ .

وفي خضم التعريفات الكثيرة فإنني أضع تعريفا أعبر فيه عما فهمته ووعيته حول هذه الظاهرة الخطيرة ، فأقول العولمة هي : حالة أو ظروف معينة يتمكن من خلالها أصحاب الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات ومن يقف وراءهم من منظمات دولية وحكومات غربية من التحكم في آليات انتقال رؤوس الأموال والسلع والعمالة من مكان إلى آخر في أي بقعة في العالم ـ بحيث يؤدي هذا الانتقال وتلك التحركات إلى امتصاص هوامش الأرباح من أية منطقة في العالم لمصلحة تلك القوى المسيطرة ـ كما تؤدي تلك التحركات إلى سيطرة القوى الكبرى على العالم ... بحيث تكون هي التي تسير الأوضاع الاقتصادية في العالم، وهي التي تؤثر في الأحداث والمتغيرات والمؤشرات الاقتصادية، بما يؤدي إلى أن تتفاعل قوى العرض والطلب وفقا لمصالح هذه القوى .

ومن هنا فإن المسائل الاقتصادية الكبرى التي يتحدثون عنها في علم الاقتصاد (ماذا ننتج؟ وكيف ننتج ؟ ولمن ننتج ؟) لم تعد تخضع لنظام السوق ، وإنما تخضع لقوى العولمة .

إن حالة العولمة هي أشبه بفريق لكرة القدم وجد نفسه مسيطراً على اللعب ووجد الفريق الآخر ضعيفا جدا، هل سيتوقف هذا الفريق القوي عن تسديد الكرات وإحراز الأهداف؟ إن هذا الفريق لن يوقفه شيء ولو حقق عشرات ومئات الأهداف .

وهذه هي حال قوى العولمة ، إنهم يسددون الأهداف ويحرزون الانتصارات ويصنعون القرارات، ويفتعلون الأحداث، كل ذلك من أجل امتصاص معظم الثروات والأرباح ، ومن أجل تعظيم نفوذهم وطاقاتهم وهيمنتهم .

١ . الأصول الفكرية للعولمة

بالرغم من وجود عشرات الكتب التي تتحدث عن العولمة ، إلا أننا يمكن أن نحدد عدداً من الكتب التي يمكن اعتبارها المنبع الروحي والفكري للعولمة ، ومنها تستقي العولمة فلسفتها وأخلاقها وقيمها المادية .

ومنذ البداية يمكن القول إن العولمة المعاصرة هي تطور مسخ للنظام الرأسمالي الذي يقوم على أسس مادية منفصلة كليا عن القيم والأخلاق مثل النفعية المطلقة والحرية الاقتصادية والمنافسة وعدم تدخل الدولة وتعظيم الأرباح .

إن العولمة المعاصرة تقوم أيضا على أسس مادية معادية للقيم والأخلاق، بل إنها معادية للإنسانية .

وبالرغم من وجود العديد من الكتب التي مهدت للعولمة ، وساهمت في إرساء دعائمها وتكريس وجودها، إلا أن كتابين فقط، من بين هذه الكتب طبعت منهما ملايين النسخ وبكافة اللغات في العالم، وانتشرا في مختلف دول العالم وأحدثا ردود فعل من كافة قارات العالم، وعليهما يكاد يجمع الكتاب والباحثون عند الحديث عن الأصول الفكرية والفلسفية للعولمة ، هذان الكتابان هما نهاية التاريخ لفوكوياما، وصدام الحضارات لهنتجنتون، وفيما يلي تفصيل موجز لأهم ما ورد فيهما حول العولمة :

١ . ١ كتاب فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ والإنسان الأخير
The end of history and the last man

نشر فوكوياما مقالا له بعنوان نهاية التاريخ عام ١٩٨٩م، أثار ردود فعل عالمية ودولية صاخبة من مختلف دول العالم، الأمر الذي حول المقالة

إلى كتاب عام ١٩٩٢م، وقد أثار الكتاب نفس الجدل والاهتمام على المستوى العالمي.

يوضح المؤلف أن البشرية لا يمكن أن تفكر في غير النموذج الرأسمالي حلا لمشاكلها، فالبشرية وصلت إلى نهاية إبداعها الفكري ولا يوجد أمامها سوى النموذج الرأسمالي «النظام الرأسمالي بانتصاراته المتتالية على الأيديولوجيات الأخرى . . هو نظام الحكم الأمثل . . الوصول إلى هذا النظام هو نهاية التاريخ». فهو يرى أنه لا بديل للبشرية عن النظام الرأسمالي، بل إنه يعتبره النظام الحتمي. ومن عباراته «إن القرن الذي بدأ وكله ثقة بالنفس بالانتصار المطلق للديمقراطية الليبرالية الغربية يعود وهو يشارف على الأفول من حيث بدأ مرة أخرى . . إلى الانتصار المحقق لليبرالية السياسية والاقتصادية . . إن انتصار الغرب أو الفكرة الغربية لهو دليل قبل كل شيء على استنزاف وفشل البدائل التي طرحت أمام الليبرالية الغربية». فالنموذج الغربي، بل الأمريكي قد وصل إلى القمة ولا يمكن لأحد بلوغ هذه القمة، وإن الإسلام قاصر عن بلوغ هذه القمة، وبالتالي فإن القيم والأفكار الغربية لا بد أن تخترق العالم الإسلامي وتسوده وتقوده.

ولقد فات فوكوياما وغيره من المنبهرين بالنموذج الرأسمالي، أن لله في خلقه سنن وقوانين، قال تعالى ﴿ . . .**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** . . .﴿١٤٠﴾ ﴾ (آل عمران) وأن الحضارة الغربية قد وصلت قمة التقدم المادي، ولكنها هبطت إلى الحضيض في الجانب الروحي، وبالتالي فإن سقوطها قادم لا محالة [١].

---

(١) الأشقر، ١٦٦، حمدي عبد الرحمن: المرجع السابق، ص٢٧-٢٨، صادق العظم، المرجع السابق، ص ٧٣.

١ . ٢ كتاب صموئيل هانتجتون صدام الحضارات[١]

The clash of civilizations

إن نظرية فوكوياما عن نهاية التاريخ لم تعجب صناع القرار في أمريكا ، فلربما كان لها آثار سلبية على النفس الغربية التي قد تركن إلى الكسل والتخاذل . . وبالتالي ظهرت طروحات أخرى كان أبرزها مقال لصموئيل هانتجتون الأستاذ في جامعة هارفارد نشره عام ١٩٩٣م في مجلة « فورين أفيرز » الأمريكية ، ثم تطور المقال إلى كتاب عام ١٩٩٦م بعنوان « صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي »

ويؤكد هانتجتون في مقدمة كتابه أن هيئة تحرير مجلة فورين أفيرز أبلغته أن مقاله الأول أثار حجماً من المناقشات والمنازعات والسجلات يفوق بكثير ما أثاره أي مقال آخر نشرته المجلة منذ أربعينيات هذا القرن ، وأن الردود والتعليقات عليه جاءت من القارات الخمس جميعها . . »[٢] .

وفي الحقيقة فإنه مع تكاثر المصطلحات ، خاصة في مجال تشكيل علم المستقبليات ، فقد جاء مصطلح صدام الحضارات عند هانتنجتون ليغلق الأمل أمام البشرية حول إمكانية حلول السلام والأمن في هذا العالم ، وليؤكد على أن النظام الرأسمالي هو النظام النهائي للبشرية وبالتالي فإن الصراع الحضاري والثقافي لا بد أن يستمر بين الغرب وبقية العالم[٣] .

ويرى أن الصدام المقبل هو الصدام بين المسيحية والإسلام ، فالحضارة

---

(١) صامويل هانتجتون ، صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم : صلاح قنصوه ، سطور ، مصر ، ١٩٩٨ .

(٢) الأشقر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ صادق العظم ، المرجع السابق ، ص ٧٣-٧٤

(٣) هانتجتون ، من مقدمة الكتاب لصلاح قنصوه ، ص ٩

الإسلامية ذات طبيعة دموية، وذلك لأنها في صراع مع كل من يجاورها من حضارات، وبالتالي فإن الإسلام والمسلمون هم الأعداء الألداء للغرب، ومن عباراته: [1] « إن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أي مشكلة، وإنما المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الإسلاميين، أربعة عشر قرنا من التاريخ تقول عكس ذلك، العلاقات بين الإسلام والمسيحية.. كانت عاصفة غالبا، وفي موضع آخر [2]، طالما أن الإسلام يظل وسيظل كما هو الإسلام، والغرب يظل (وهذا غير مؤكد) كما هو الغرب، فإن الصراع الأساسي بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر. مع أن الحقيقة التي لا تخفى على أي إنسان منصف يعرف القليل عن الإسلام، أن الإسلام دين الرحمة والتسامح والإنسانية، وأن الآيات القرآنية التي تدعو إلى البر والإحسان والعدل والتراحم والتعاون واحترام الحريات والمعتقدات لا تكاد تحصى لكثرتها؛ ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح). ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء). ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...** ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات، ١٣) ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ...** ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل)﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...** ﴿٢٥٦﴾ ﴾. (البقرة) ﴿ **..فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...** ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف) . . . الخ

كما أن الفقهاء قرروا قديما وحديثا أن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم السلم لا الحرب، وأن الباعث على القتال في الإسلام هو رد

---

(١) هانتجتون، ص٣٣٨

(٢) هانتجتون، ص٣٤٣

الاعتداء ، وتبليغ الناس [١] ، قال تعالى﴿ ... **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** ...﴿١٩٤﴾ ﴾ (البقرة) .

١ . ٣ . مؤشرات الفساد المصاحب للعولمة :

تتوقع الدراسات أنه بحلول عام ٢٠٢٥ م ستنفث البلدان النامية في الهواء أربعة أضعاف كمية ثاني أكسيد الكربون التي تنفثها الدول المتقدمة اليوم ، كما يتوقع أن تفقد الأرض أكثر من ٢٥٪ من الأجناس الموجودة حاليا .[٢] إن الإنسان في دول الشمال يستهلك من المياه ويولد من الملوثات بما يزيد عن عشرين ضعفا عن المواطن في دول الجنوب . وأن التلوث الذي يسببه مواطن أمريكي واحد يزيد على ذلك الذي يسببه مواطن عادي من دول العالم الثالث بعشرين إلى مائة مرة ، ويماثل استهلاك الأمريكي الواحد للطاقة ما يستهلكه ثلاثة يابانيين ، أو ستة مكسيكيين، أو ١٣ صينيا أو ٣٥ هنديا أو ١٥٣ بنغلاديشيا أو ٤٩٩ أثيوبيا .[٣]

وتقف الولايات المتحدة في مقدمة الدول التي تتسبب في انبعاث الغازات المتسببة في تآكل طبقة الأوزون ، حيث تبلغ مساهمتها ٣٥٪ تليها دول السوق الأوروبية ٤٨٪ ، وترفض هذه الدول التقليل من مستوى هذه الغازات حفاظا على مستواها التجاري والاقتصادي ، أي حفاظاً على مصالح الشركات الكبرى المهيمنة .[٤]

---

(١) وهبة الزحيلي : العلاقات الدولية في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨١ ، ص٩٣ .

(٢) عوض ، عادل رفقي ، المرأة وحماية البيئة ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٥ ، ص١٣ .

(٣) بروكوب ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٤) عبد العظيم ، أحمد ، الإسلام والبيئة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ ص١١ .

كما أن الولايات المتحدة تقف في مقدمة الدول المنتجة للأسلحة والمعدات العسكرية والتي تزيد من حجم التلوث البيئي الناجم عن التدريبات العسكرية والاستعدادات الحربية ، فالمناورات والتدريبات العسكرية تدمر الأراضي والغابات الطبيعية ، وتحدث اضطرابات للكائنات البرية ، كما أن إطلاق القذائف والقنابل المدمرة يلوث التربة والمياه الجوفية بالرصاص والمخلفات السامة .

ومن جهة أخرى فإن المعدات العسكرية من طائرات نفاثة أو دبابات أو مدافع تستهلك الطاقة بكميات هائلة ، وينجم عنها مخلفات ونفايات خطرة ، وكأمثلة على ذلك ، تستهلك طائرة فانتوم F-4 (6359) لتر وقود في الساعة ، والسفينة الحربية (١٠٨١٠) والقاذفة B-52 (٧١) ، وحاملة الطائرات غير النووية (٢١٣٠٠) [١]

كما تشير الإحصاءات إلى أن الغابات تتناقص بشكل مستمر بمعدل ٢٪ سنويا نتيجة الاستنزاف وتلوث الهواء المنتج للأمطار الحمضية ، وكذلك التربة فإنها تتناقص باستمرار بمعدل ٧٪ من الطبقة العليا كل عقد ، وذلك بسبب الانجراف والتآكل بشكل مستمر نتيجة الإنهاك المستمر بالزراعة

(١) سعيد الحفار : الموسوعة البيئية العربية ، نقلاً عن :

Defending the Environment? The Record of the U.S Military_ the Defense Monitor, Vol. 18, No. 6, 1989 Tom Cutier, _Myths of Military Oil Supply Vulnerability_ Armed Forces Journal International, July 1989; Greg Williams, _The Army_s M-1 Tank, Has it Lived up to Expectations?_ Project on Government Procurement, Washington, D.C., June 12, 1990; Center for Disarmament, Economics and Social Consequences of the Arms Race and Military Expenditures, Disarmament Study Series No. 11 (New York, United Nations, 1983).

الكثيفة أو الري الكثيف، مما يؤدي إلى ملوحة التربة وتصحرها.

كذلك تسود استخدامات المياه ممارسات خاطئة تؤدي إلى ندرة المياه ونضوبها، عدا عن الانخفاض الطبيعي الحاصل في منسوب المياه في باطن الأرض، الأمر الذي يهدد البشرية بخطر حقيقي.

وتعتمد الولايات المتحدة على أكثر من مائة وستين شركة أمريكية من الشركات الكبرى متعددة الجنسية عابرة القارات، وتمتلك هذه الشركات أكثر مما يمتلكه نصف سكان العالم، ووفقا لما نشرته مجلة بيزنس ويك الأمريكية فإن القلة من الناس التي يمكن أن تصدق أن عائلة واحدة هي عائلة والنبرغ في السويد تمتلك شركات تبلغ مبيعاتها أكثر من ١٠٠ مليار دولار. ويتصاعد نمو نفوذ الشركات المتعولمة بسرعة فلكية في النظام الاقتصادي العالمي الجديد فيما يتناقص نفوذ الحكومات الوطنية [١]، وتمارس هذه الشركات نشاطاتها في مختلف دول العالم تحت مسمى الاستثمار الأجنبي أو الشريك الاستراتيجي أو الخصخصة . . الخ.

إن سعي الشركات الكبرى الدائم لتعظيم أرباحها يدفعها لارتكاب أبشع الجرائم الاقتصادية وأكثرها عبثية، فتلويث المحيطات والأنهار، والمتاجرة بالأغذية الفاسدة، وإتلاف الكثير من المحاصيل الزراعية، كل ذلك من أجل زيادة الأسعار، وبالتالي زيادة المكاسب والأرباح.

إن هذه الصورة القاتمة ليست من قبيل المبالغة، بل ربما لا تعبر عن الواقع ولا تصور الوضع الحقيقي الذي وصلت إليه حال البيئة والموارد

(١) يونس، محمود وأحمد، نعمة الله: مقدمة في الموارد واقتصادياتها، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤٥، الموسوي، محسن: القرن الواحد والعشرون والبحث عن الهوية، دار الهادي، بيروت، ١٩٩١ ص ١٠٧.

والكرة الأرضية التي نعيش عليها. ولربما يكون خير وصف لهذه الصورة قوله تعالى ﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٤١﴾ ﴾ . (الرَوم) .

إن الحقائق والإحصاءات التي سبق توضيحها تبين مدى خطورة الوضع الذي وصلت إليه الأرض، وهي مظاهر تستلزم التدخل السريع للإنقاذ، ولا إنقاذ للبشرية إلا بالإسلام، فكيف يمكن ذلك .

٢ . مواجهة العولمة وموقف الإسلام منها :

نشرت صحيفة نيويورك تايمز يوم ٤/ ٧/ ٢٠٠٣م وهو يوم الاستقلال الأمريكي ٢٢٧ عن الاستعمار البريطاني، إعلاناً احتل صفحة كاملة، يمثل هذا الإعلان ـ الذي مولته مؤسسة إدباسترز الإعلامية والتي تضم عدداً من المفكرين والمثقفين الأمريكيين ـ صرخة استغاثة ضد الشركات العملاقة، جاء فيها : «لأن بلدي باعت روحها لسلطة الشركات، ولأن النزعة الاستهلاكية أصبحت ديننا الوطني، ولأننا نسينا المعنى الحقيقي للحرية ، ولأن الوطنية تعني الآن اتباع هوى الرئيس ، فإنني أتعهد بأداء واجبي . . واسترداد بلادي» [١] .

---

(١) عبد الحي زلوم : نذر العولمة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩، ص ٣٤٧ وفيما يلي أسماء الشركات وحجم مبيعاتها بمليارات الدولار ، استرا ـ صناعة أدوية ٥ مليار ، إيه بي بي ـ طاقة ٣٤ مليار ، اليكترونكس ـ أجهزة منزلية ١٤ ، ستورا ٨ ، إس إي بانكن ١٦,٥ ، إنسينتف ٤,٢ ، أريكسون، خلوي ١٦ ، سكانيا ـ شاحنات ٤ ، ساب ـ صناعة ثقيلة ٤ ، ساب ـ صناعة سيارات ٦,٢ ، ساس الخطوط الجوية الاسكندنافية ٦,٤ ، إس كي إف ٤,٤ ، أطلس ـ معدات ٣,٣ مليار دولار

وفي ظل السياسات التي تمارسها قوى العولمة في عدد من دول العالم، بدأ العالم يئن من ويلات وآثار العولمة المدمرة، وكثر المعارضون ، وكثرت الاحتجاجات والمظاهرات في دول عديدة، ولم يعد أي مكان في العالم يحتمل استضافة هذه القوى لتعقد مؤتمراتها وتمارس مخططاتها ضد الإنسانية وضد مصالح الدول والجماعات الأقل حظا في العالم.

ونحاول رصد تيارات مقاومة العولمة الفكرية ، ومن ثم إخضاع هذه الظاهرة للمنظار الإسلامي، واقتراح بعض الأساليب والوسائل لمواجهتها والتخلص من آثارها.

٢ . ١ . وثائق مواجهة العولمة

رافق انتشار فكر وسياسات العولمة في التسعينات، ظهور العديد من الكتابات التي تحذر من مخططات العولمة وآثارها ، من أبرزها:

أولا : كتاب (فخ العولمة) لمؤلفيه الألمانيين هانس-بيتر مارتين و هارالد شومان ، ترجمة د. عدنان عباس علي مراجعة وتقديم د. رمزي زكي، ١٩٩٨م: يحذر الكاتبان في هذا الكتاب من تركز الثروة واتساع الفروق بين البشر، حيث يشيران إلى أن (٣٥٨) مليارديرا يملكون أكثر مما يمتلكه نصف سكان العالم، وهؤلاء يتحكمون بأسعار الصرف والأوراق المالية والاستثمارات في مختلف دول العالم، فلم تعد الكتلة النقدية خاضعة للبنوك المركزية ، حيث تتنقل المليارات في ومضات سريعة على شاشات الكمبيوتر . . وهكذا تحول العالم إلى رهينة في قبضة حفنة من كبار المضاربين [١] .

---

(١) جريدة الرأي ، عدد ١١٩٧٩ ، ٥/ ٧/ ٢٠٠٣ ،عمان ، الأردن ، ص ٨

كما يحذر الكاتبان مما يراد بالقوى العاملة في العالم وهو ما يمكن أن يسمى (مذبحة العمالة) ، حيث يوجد مخطط يطلق عليه (٢٠ ـ ٨٠) ، ويقصدون بذلك أن ٢٠٪ من القوى العاملة في العالم سوف تكفي لإنتاج جميع السلع والخدمات وتسيير الاقتصاد العالمي ، أما عن الثمانين بالمائة العاطلين عن العمل والذين يرغبون في العمل فإنهم سيواجهون مشاكل عظيمة كما يرى الكاتب الأمريكي جريمي ريفكن صاحب كتاب « نهاية العمل » .

فالمسألة في المستقبل إما أن تأكل أو تؤكل to have lunch or be lunch ، وهكذا فإن الطبقة الوسطى سوف تذوب من مجتمعات العولمة ، أما العلاج لمشاكل هذه الفئة فإنه يتمثل فيما اقترحه زيجينو بريجينسكي ـ مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد كارتر والاقتراح عبارة عن مصطلح Tittytainment ويقصد به التغذية المخدرة أو المسلية ، فلا بد من إلهاء الجياع بإضافة التسلية بدل الطعام[١]

ولكن المسألة ليست بتلك السهولة ، فتسريح ملايين العمال من وظائفهم دون أن يستفيدوا من وسائل التكافل الاجتماعي سوف يدفع ثمنه السياسيون ، فالخاسرون يتمتعون بحق التصويت ، وهكذا سيتحول عداء هؤلاء إلى كراهية الغرباء والانكفاء على الذات والعزلة عن السوق العالمية ، وبالتالي فقد صار رد فعل المعزولين يتجسد في عزل الآخرين . ومن هنا فلا عجب أن يحصل ذوو النزعات القومية التسلطية الانعزالية على نسبة كبيرة

---

(١) هانس ـ بيتر مارتين و هارالد شومان : فخ العولمة ، ترجمة د. عدنان عباس علي ، مراجعة وتقديم د. رمزي زكي ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٩٩٨ ، ص ١٢-١٣

من أصوات الناخبين ، مثل روس بيرو في أمريكا، وواعظ البعث القومي في فرنسا لوبين، واليميني المتطرف في النمسا يورغ هايدر وغيرهم . . ولا يزال الانعزاليون يحصلون على إقبال متزايد من الجمهور [١] .

إن تسارع عملية الهدم الخلاق هو الطابع الجديد الذي اتخذه نظام السوق الرأسمالي، كما قال إدوارد لوتاك الاقتصادي الأمريكي الذي صاغ لهذا الطابع الجديد مصطلح « الرأسمالية النفاثة » ، وكمثال معبر عما تفرزه الرأسمالية النفاثة يستشهد لوتاك بتحرير النقل الجوي في الولايات المتحدة من التدخل الحكومي ، فهذا التحرير أدى إلى تخفيض أسعار الرحلات، إلا انه أفرز في الوقت نفسه اندلاع موجات تسريح من العمل ، وباتت شركات النقل الجوي تعمها الفوضى وعدم الاستقرار . . إن هذا التطور يمكن أن يشكل مادة مهمة لدراسة سوسيولوجية تبحث عن عدد حالات الطلاق التي سببها هذا التطور ، وعن عدد أولئك الأطفال الذين يعانون من حالات الطلاق هذه ، وعن هول المتاعب الاقتصادية التي جرها على عائلات العاملين لدى شركات الطيران [٢] .

ثانياً : كتاب نذر العولمة : عبد الحي زلوم : طبعة ١٩٩٩م . يحذر الكاتب فيه من خطر العولمة على العالم ، ويعتبرها أم الشرور والكبائر حيث يقول » إن ثقافة وأنظمة العولمة يقودها الآن نظام امتصاصي طفيلي حول الاقتصاد العالمي إلى كازينو للمقامرة بثروات الآخرين ومقدراتهم، كما أورثت حضارة العولمة التي يتم الترويج لها ثقافة الاستهلاك، وإطلاق العنان للشهوات والرغبات ، والتفكك الأسري ، والجريمة المنظمة،

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥-٢٧

(١) نفس المصدر ، ص ٢٧ .

وخلقت دوما في كل مجتمع وأمة طبقة الواحد بالمائة المسيطرة على مقدرات الأمم، في حين خلقت عوالم ثالثة من بقية شعوبها»[1].

ويستعرض الكاتب عددا هائلا من الكتب والمقالات التي تحذر من العولمة وتدعو إلى مواجهتها، فيستشهد بعبارات جورج سورس كبير المضاربين الدوليين وشيخ العولمة، والذي يخشى على مستقبل الرأسمالية المعلوماتية (المال والإعلام) infofinancial capitalism في كتابه « أزمة الرأسمالية العالمية فيقول : لنقولها بصراحة : هناك خياران أمامنا فإما أن نصحح وننظم قوى الأسواق المالية العالمية عن طريق عمل عالمي ، وإلا فالخيار الثاني سيدفع الدول لتصبح صمامات أمان تسمح للمال العالمي لدخول بلدانها ، وتمنع من خروجه . . إن هناك حاجة ملحة بإعادة التفكير وإصلاح النظام الرأسمالي العالمي . . » لقد جاء تحذير سورس من خشيته من انهيار النظام الذي يشكل هو أحد أعمدته ، خاصة أنه كان أحد الأسباب الهامة في بداية الأزمة المالية في جنوب شرق آسيا في ١٩٩٨م ، فهو يخشى على مصالحه وليس على مئات ملايين الشعوب المنكوبة بسبب هذا النظام وسياساته. ويضيف مؤلف الكتاب » إن حضارة العولمة والتي أسميناها الرأسمالية المعلوماتية قائمة على المطامع والجشع وكلاهما غريزتان جاءت كافة الأديان والمبادئ والقوانين الأخلاقية لتحد من الإفراط في ممارستهما»[2].

لقد ألف مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا (والذي يطلق عليه أبو المعجزة الاقتصادية الماليزية) كتابا عنوانه «آسيا التي تستطيع أن تقول لا»

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٢٤.

(٢) عبد الحي زلوم : نذر العولمة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩،، ص١٠.

شاركه فيه الياباني شينتارو إيشيهارا، وكان أول من اتخذ إجراءات كاسحة ضد المضاربين المسرفين في عملياتهم ، وقد أقسم على أن تستمر بلاده بتطبيق قوانين ونظم أسعار الصرف الصارمة . . ولم تستطع الرأسمالية المعلوماتية أن تتقبل عصيان بعض الدول فأطلقت حملتها المسعورة على ماليزيا ورئيس وزرائها وما زالت هذه الحملة مستمرة . . ويخشى سوروس أن تجد الكثير من الدول في تجربة ماليزيا مثالا يحتذى به للخروج من نظام العولمة الاقتصادي المعلوماتي . [1]

ويبدو أن العولمة اللامسئولة كانت سببا في اختيار عنوان «العولمة المسئولة» responsible globality عنوانا لمنتدى دافوس عام ١٩٩٩م، وعند سؤال كلوس شواب مؤسس منتدى دافوس عن سبب اختيار هذا العنوان قال . . «في عالم تلاشت به حدود الدول، أصبح لزاما إيجاد حدود عالمية بديلة تتمثل في إيجاد الآليات التنظيمية ، والقانونية والإجرائية لنتلافى الآثار الخبيثة لثورة العولمة » ويعلق مؤلف الكتاب » يأخذ مركز اقتصاد العولمة اليوروأمريكي الأطلسي من دول العالم الأخرى العرق والنفط وساعات العمل والمعادن ، ويبادلهم إياها بأرقام وأوهام في دفاتر بنوكه أو ذاكرات كمبيوتراته ، فيتم تبادل المحسوس والحقائق بالأرقام والأوهام ، وكم هي سهلة تبديد الأوهام وتغيير تلك الأرقام كما بينته لنا الأيام « [2] .

وبالإضافة إلى كتاب » نذر العولمة » ظهرت عشرات الكتب التي تحذر من مخاطر العولمة مثل (عولمة الفقر) ، (أوهام الرأسمالية العالمية)، العولمة المتوحشة . . الخ

---

(١) نفس المصدر : ص ٢٦- ٢٧

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٣-٤٤

٢ . ٢ . موقف الإسلام من العولمة:

يرفض الإسلام كل عمليات تحركات رؤوس الأموال المبنية على التغيرات في أسعار الفائدة ، فنظام الإقراض والتمويل الربوي الذي تمارسه مؤسسات العولمة كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي مرفوض إسلاميا ، ويجب على الدول الإسلامية أن تتجنب الاعتماد على الاقتراض الربوي .

أما الانضمام إلى هاتين المؤسستين ومحاولة الاستفادة المشروعة منهما ما أمكن فهو أمر مقبول ، خاصة إذا استطاعت الدول الإسلامية أن تصوت مجتمعة ، مما يزيد من قوتها التفاوضية ، بما يخدم مصالح المسلمين . وينبغي أن تسعى الدول الإسلامية جاهدة إلى فرض هويتها الإسلامية على علاقاتها الدولية والتجارية مع الدول الأخرى ، خاصة في مجال صيغ التبادل والاستثمار المصرفي الإسلامي .

أما اتفاقية الجات وما تتضمنه من مبادئ الشفافية والعدالة ورفع الحواجز والقيود الجمركية ، فينبغي النظر إليها في ضوء القواعد والمقاصد الشرعية التي تسمح بتحمل أخف الضررين دفعا لأشدهما ، وفي ضوء الضوابط الشرعية الأخرى ، حيث لا يجوز للمسلمين أن يسمحوا بدخول سلع محرمة كالخمر والخنزير إلى بلادهم ، كما لا يجوز السماح باستيراد السلع الخبيثة والضارة بالفرد والمجتمع ، كذلك الخدمات والأنشطة الترويحية التي تصادم الأخلاق والفضيلة . بالإضافة إلى أن الإسلام يحمي مواطنيه بالدرجة الأولى من الاحتكار الداخلي ، ومن باب أولى أن يحميهم من احتكارات الشركات الكبرى العابرة للقارات .

إن الإسلام يحث على زيادة الإنتاج كميا ونوعيا ، ولكن ذلك له ضوابط شرعية أيضا ، منها مراعاة الأولويات في الإنتاج للضروريات ثم

الحاجيات ثم التحسينات . وأن يكون الإنتاج متفقا مع الظروف والأوضاع الاقتصادية التي يمر بها المجتمع ، وقبل كل ذلك لا بد أن يكون الإنتاج مشروعا نافعا طيبا ، لا يؤدي إلى الإضرار بالناس وليس له مخلفات بيئية .

إن الإسلام يسمح بزيادة الإنتاج إلى أقصى حد ولكن بشرط أن يكون ذلك في إطار زيادة التنمية والتقدم والاعتماد على الذات ومحاولة تحقيق الاكتفاء الذاتي ، ولا يسمح بزيادة الإنتاج في ظل تبعية مطلقة للدول الغربية ، كما لا يسمح بالإسراف والتبذير والترف والتبديد .

إن توفير السلع الترفيهية أو الكمالية في المجتمعات الإسلامية ليس هدفا إسلاميا في حد ذاته خاصة إذا ما كانت هذه السلع مستوردة ، لأنها سوف تضعف المسلمين وتقوي فيهم التبعية للدول الأخرى .

أما الخصخصة فهي أمر مطلوب شرعا إذا كانت في المجالات والمرافق التي لا يترتب على انتقالها إلى القطاع الخاص إضرار بالمجتمع . وإذا كانت لا تسمح للأجانب بامتصاص ثروات البلاد الإسلامية ونقلها إلى الخارج .

إن الأصل في العلاقات الاقتصادية في الإسلام الحرية ، ما دام المسلمون ملتزمين بأخلاقيات الإسلام وقيمه التي تأمر بالعدل والإحسان وتنهى عن الفحشاء والمنكر .

ولذلك رفض النبي ﷺ التسعير ، عندما جاءه الصحابة يشكون متذمرين ، يقولون : يا رسول الله : سعر لنا ، فقال : إن الله هو القابض الباسط المسعر وإني لأرجو أن ألقى الله . ولا يسألني أحد مظلمة ظلمتها إياه[1] .

---

(١) نفس المصدر، ص ٨٢-٨٣

إن حكم التسعير والتجارة على المستوى الداخلي هو نفسه على المستوى الخارجي ، ولذلك لم يفرض النبي ﷺ العشور في التجارة ، بل إنه مدح التجار الذين يجلبون السلع والبضائع من بلد إلى آخر بقوله ﷺ «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ثم نهى عن تلقي الركبان، زيادة في حرصه ﷺ على حرية التجارة وحرية السعر .

إن الإسلام يحث المسلمين على الانتفاع بالطيبات أيا كان مصدرها سواء كانت في بلاد المسلمين أو في غيرها ، يقول د. محمد أبو زهرة تعليقا على قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿١٣﴾ ﴾ [**الحجرات** : ١٣] (الحجرات) » إن التعاون المطلوب ليس هو المعرفة المجردة ، بل المعرفة المثمرة التي تتلاقى فيها كل القوى الإنسانية لخير الإنسان ، وإنما يكون التعارف لخير الإنسانية إذا قدم كل أهل إقليم ما عندهم من خيرات الأرض وثمراتها لغيرهم ـ تبادلا للمنافع ـ فينتفع أهل كل إقليم بما عند غيره ويقدم له ما عنده من خير ، وبذلك ينتفع ابن الأرض بخير الأرض كلها ، وذلك هو التعارف الذي أشار إليه النص الكريم » [١] .

ولكن هذه الحرية وهذا الانتفاع ليس على إطلاقه ، فهو مقيد بأخلاقيات الإسلام وقيمه كما ذكرنا سابقا ، ومعنى ذلك أنه لا يسمح بالتجارة بالسلع المحرمة أو الضارة أو الأنشطة المخالفة للشريعة الإسلامية ، كما لا يسمح بالتجارة مع أعداء الإسلام والمسلمين بما يزيد في قوتهم على

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل : مسند أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ ، ١٥/ ٦٤-٦٥ ، الألباني ، ابن ماجه : صحيح ابن ماجه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ٢/ ١٤ .

المسلمين ، استيرادا أو تصديرا . ومما تقدم يمكن أن نقرر المبادئ التالية[1] :

- للدولة الإسلامية أن تشترك في كافة المنظمات والهيئات الدولية التي تنظم التعاون الفني، والتبادل العلمي والاقتصادي، بشرط عدم الالتزام بأية قواعد أو معاملات تخالف عقيدة الإسلام .
- في ظل قوله تعالى ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾** ﴾ (الممتحنة). يمكن معاملة الدول الأخرى التي لا تعادي المسلمين بالبر والعدل والإحسان وتكون التجارة أو الرسوم التجارية بالمثل .
- إن قيام سوق إسلامية مشتركة بين الدول الإسلامية هو الحل لزيادة الكفاءة النوعية والسعرية لمنتجاتها ولزيادة قدرتها على المنافسة وكذلك قوتها التفاوضية في المنظمات والمحافل الدولية .
- في ظل قوله تعالى ﴿ ...**إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾** ﴾ (النساء) يمكن أن تكون للتجارة الداخلية أو الإقليمية بين المناطق الإسلامية أحكام ومبادئ لا تنطبق على التجارة الخارجية .
- في ظل قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ...﴿١﴾ ﴾ (المائدة) يجب على المسلمين الوفاء بكافة الالتزامات والمعاهدات والاتفاقيات التي التزموا بها ما دامت في مصلحة المسلمين، وبما يتفق مع المقاصد الشرعية، أما إذا كانت اتفاقات إذعان وخضوع وهوان ، فينبغي على المسلمين العمل بكل طاقاتهم للتخلص من هذه الاتفاقات .

---

(١) علي حافظ منصور : « الاتفاقيات العامة للجات من منظور إسلامي» مؤتمر أثر اتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية ، المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

- ينبغي معاملة الحربيين أو الدول التي تعادي المسلمين بحذر شديد، بحيث تكون المعاملة بالمثل، وبما لا يؤدي إلى إلحاق الضرر بالمسلمين بأي حال من الأحوال.

٢ . ٣ العولمة والشعوب الإسلامية

حتى تستطيع الدول الإسلامية مواكبة العولمة وتفادي المخاطر القادمة فلا بد من تحقيق التكامل الاقتصادي والمالي فيما بينها، من أجل تقوية المراكز المالية للمصارف، ومواجهة اقتصاديات السوق الحر وآلياته. ومن المعلوم أن الدول الإسلامية قد رفعت منذ وقت طويل شعار السوق الإسلامية المشتركة، ولكن هذا الشعار بقي شعارا نظريا لم ينل حظه من التطبيق، كغيره من الشعارات الإقليمية مثل السوق العربية المشتركة.

إن حكومات الدول الإسلامية تقف عاجزة عن فعل أي شيء لكي تقي شعوبها من أخطار العولمة ومشكلاتها. وعندما يبدأ تطبيق اتفاقية الجات على معظم دول العالم عام ٢٠٠٥ م، سوف يتعامل العالم مع ٥٧ دولة إسلامية متنافسة متضاربة في سياساتها بدلا من التعامل مع دولة واحدة، كما هي أوروبا وأمريكا، وهذا الوضع سيؤدي إلى مخاطر كبيرة على المجتمعات والشعوب الإسلامية.

من هنا فإن على الشعوب الإسلامية دوراً كبيراً من أجل الاستعداد لمواجهة تحديات العولمة، إن الشعوب الإسلامية ببرلماناتها ومؤسساتها الشعبية وجمعياتها ومنظماتها غير الحكومية تستطيع أن تقوم بما لا تستطيعه حكومات الدول الإسلامية، وتستطيع هذه المنظمات تنظيم آليات وتكوين أجهزة لمواجهة أخطار العولمة، كما أنها تستطيع إعادة صياغة الهيكلية الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، وإعادة تشكيل الإرادة الحضارية للنهوض والتقدم، وعلى سبيل المثال يمكن لهذه المنظمات وضع خطط فيما

يتعلق بالجوانب التالية :

١ ـ تحقيق الاكتفاء الذاتي ، بالاعتماد على النفس ، والتخلص من ثقافة الغين .

٢ ـ ترشيد الاستهلاك ، وتجنب السلع الترفيهية والتفاخرية .

٣ ـ التخلص من كثير من العادات التي تقوم على ثورة التطلعات وسلوك التقليد والمباهاة .

٤ ـ برامج روحية ومعنوية لمقاطعة الكثير من السلع التي يمكن أن تضر بالمنتجات والاقتصادات الوطنية .

٥ ـ العمل بالضوابط الإسلامية والقواعد الشرعية في عمليات التبادل التجاري خاصة تجنب الربا ، والغرر ، وبيع ما لم يقبض ، والغنم بالغرم ، والخراج بالضمان ، . . الخ .

٦ ـ العمل على استبدال العملات الأجنبية بعملة إسلامية حتى ولو كانت حسابية .

ونظرا للأهمية البالغة للمصارف في عمليات العولمة ، فينبغي للمصارف الإسلامية أن تحقق تكتلا واندماجا فيما بينها ، بحيث تتمكن من الحصول على أعلى درجات التقنية المعلوماتية ، تستطيع من خلالها إقامة مراسلات وعلاقات مع بنوك عالمية وأسواق مالية دولية ، وتتمكن من مراقبة وتحليل شاشات الأسعار على مدار اللحظة ، بحيث تتمتع بقدرات تنافسية أكبر ، بما يمكنها من إثبات وجودها وهويتها على المستوى العالمي ، مما يؤدي في النهاية إلى انتشار التعامل بالأساليب والسياسات الإسلامية الأكثر كفاءة وعدالة في مجال الاستثمار والعمل المصرفي الدولي[1] .

---

(١) محمد عبد المنعم عفر : الاقتصاد الإسلامي ، دار البيان ، جدة ، ١٩٨٥ ، ٢/ ٢٧٦ .

الخاتمـــــــة

إن قوى العولمة في هذا العصر قد بلغت في طغيانها وتسلطها وظلمها مبلغا عظيما، فأخذت تصول وتجول، وتجوب الأرض تعيث فيها الفساد، لا تبقي على خير أو نفع لبشر، تنتشر كأسراب الجراد، حتى إذا وقعت على بقعة خضراء أغارت عليها فتركتها جرداء كأن لم تغن بالأمس، وتركت الناس وراءها يتلوون جوعا.

إن قطيع رأس المال الإلكتروني كما أطلق عليه توماس فريدمان يجوب العالم عبر ومضات شاشات الكمبيوتر من أجل قطف هوامش الأرباح من أي بقعة في أية دولة من دول العالم، ويحمي هذا القطيع في تنقلاته الشروط والبرامج التي تفرضها أجهزة العولمة الثلاثة، صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة التجارة العالمية. فهذه الأجهزة تقوم بدور السلطات المالية والنقدية داخل كل بلد من أجل ضمان ديون الدائنين، واستمرار صلاحية الدولة للاقتراض وتنفيذ المشروعات الإنمائية التي يراها خبراء البنك الدولي، كما تقوم بتوفير الظروف الملائمة للاستثمار الأجنبي من خلال الالتزام الكامل ببنود اتفاقية الجات وشروط منظمة التجارة العالمية.

إن من سنن الله في خلقه أن يملي للظالم ويمد له مدا، وكذلك للأمم الظالمة، بل إنه يزيد في الإنعام عليها، ﴿ ...**حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ...﴿٤٤﴾**﴾ (الأنعام) ﴿ ...**حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ...﴿٢٤﴾**﴾ (يونس) ﴿ ...**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ...﴿١٤٠﴾**﴾ (آل عمران).

المراجع

المراجـــع

الإمام أحمد بن حنبل : مسند أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ , ١٩٧٨ ، ١٥/ ٦٤-٦٥ ، الألباني ، ابن ماجه : صحيح ابن ماجه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ٢/ ١٤ .

حمدي عبد الرحمن : «أثر العولمة على التضامن والتكامل في الوطن العربي» ندوة انعكاسات العولمة السياسية والثقافية على الوطن العربي ، مركز دراسات الشرق الأوسط عمان ، ٢٠٠١ .

صادق العظم : ما العولمة ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٠ ، ط٢ .

عبد الحي زلوم : نذر العولمة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٩٩ .

عبد الحي زلوم : نذر العولمة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٩٩ ،

عبد العظيم ، أحمد ، الإسلام والبيئة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٩٩ .

علي حافظ منصور : « الاتفاقيات العامة للجات من منظور إسلامي» مؤتمر أثر اتفاقية الجات على اقتصاديات الدول الإسلامية .

عوض ، عادل رفقي ، المرأة وحماية البيئة ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٥ .

محمد عبد المنعم عفر : الاقتصاد الإسلامي ، دار البيان ، جدة ، ١٩٨٥ , ٢/ ٢٧٦ .

محمد عمر الأشقر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، دار النفائس ، عمان ، ٢٠٠٢ .

هانس ـ بيتر مارتين و هارالد شومان : فخ العولمة ، ترجمة د. عدنان عباس علي ، مراجعة وتقديم د. رمزي زكي ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٩٩٨ .

وهبة الزحيلي : العلاقات الدولية في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .

يونس ، محمود وأحمد ، نعمة الله : مقدمة في الموارد واقتصادياتها ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٤٥ ، الموسوي ، محسن : القرن الواحد والعشرون والبحث عن الهوية ، دار الهادي ، بيروت ، ١٩٩١ .